



منذ انطلاق الثورة السورية في 15/3/2011م، أصبح لمشكلة الأقليات حضور قوي في المشهد السياسي، بسبب انحياز أكثر الأقليات في سوريا إلى جانب العصابة الأسدية، بالرغم من معاناتها من ظلم النظام بدرجات متفاوتة.

وارتفعت حرارة المشكلة قبل أيام عقب حادثة مقتل 20 درزيًا في قرية قلب اللوزة بريف إدلب، إثر اشتباك مسلح بين مقاتلي جبهة النصرة وبعض سكان القرية، الذين تصدوا بالقوة لمصادر منزل تعود ملكيته إلى أحد شبيحة النظام.

ثغرة مزمنة:

ليست مسألة الأقليات والعلاقة معها وليدة السنوات الأخيرة، بل إن جذورها ترجع إلى عهد الدولة العثمانية، إذ كان الدفاع الغربي المزعوم عن الأقليات الدينية من رعاياها، وسيلة المفضلة للتدخل في الشؤون الداخلية للسلطنة، وزعزعة أنها واستقرارها، وصولاً إلى تفككها نهائياً مع نهاية الحرب العالمية الأولى (1918م).

عندما كان العثمانيون أقوىاء، ما كان الغرب ليجرؤ على التشدق بحماية تلك الأقليات، لكن ضعف الدولة في ما بعد أغراه بالتسليл من ثغرة أسمهم العثمانيون في صنعها، بتسامحهم المفرط.. والمفارقة أن غلاة الدجالين من أبناء الأقليات لم يكتفوا بإنكار ذلك التسامح فحسب، وإنما اختلقوا تاريخاً مزوراً يتهمون فيه العثمانيين بالظلم والقسوة والطائفية...

ولأن كتب التاريخ هي المكان الملائم لتفنيد أباطيل كهذه، أكتفي في هذه العجالة، بمثال لا مجال للتغطية، هو أن أوربا التي تباكت على الأقليات عندنا، توأطأت على طرد اليهود مع المسلمين من الأندلس، فلم يجدوا مأوى لهم سوى بلاد المسلمين، ومنها عقر دار دولة الخلافة نفسها!!

كان الخطأ الأكبر الذي وقعت فيه سلطنة بنى عثمان، أنها تركت أتباع الملل الأخرى تحت سيطرة رجال دينهم، الأمر الذي سهل على هؤلاء التامر على الدولة مع قناصل الدول الصليبية..

إخضاع الأكثريّة غايتها:

لعبت الأقليات دوراً قذراً في الحقبة الاستعمارية الغربية للبلاد الإسلامية.. ذلك كان مسلك التيارات الرئيسية فيها، ولذلك ضاعت أصوات عقلائها وشرفائها، الذين طالما ذكرروا جماعاتهم بعد المسلمين الذي أتاح لهم البقاء في هذه المنطقة. فموارنة لبنان مثلاً لم يوافقو على استقلال لبنان عن فرنسا، إلا عندما رضخ المسلمون لمطلب التخلّي عن أي وحدة مع

سوريا أو أي بلد عربي.. ودروز سوريا طالبوا فيصل الأول بحكم ذاتي في فترة حكمه التي دامت سنتين وأجهز عليها الغزاة الفرنسيون سنة 1920 م.

وفي عام 1937 م توجهت قيادات النصيرية بطلب رسمي إلى المحتل الفرنسي، ألا يمنح سوريا استقلالها إلا إذا حصل النصيريون على دولة تخصهم ولا يهيمن عليها أهل السنة!!

ومن المخزي لهم أنهم أضافوا إلى ذرائعهم للانفصال، حرصهم على إقامة كيان لليهود فوق أرض فلسطين – قبل 11 سنة من إقامته فعلياً بدعم الغرب الحقوـد..

وفي فترات السيطرة العلمانية على مجتمعنا، ضحك أبناء الأقليات على المتغربين المنتسبين إلى عائلات سنية، بشعارات زائفـة: الدين لله والوطن للجميع.. حتى أصبحوا الحكام المستبدـين بلـدان كثيرة.

وفي البلدان التي لم ينجحوا في ابتلاعها لضـالة نسبتهم العددية إلى إجمالي السكان، اعتمدـوا سيـاسـة ترهـيب المسلمين من أي عودـة إلى دينـهم، واستـقـوا بالـغرب المـتـرـبـصـ كالـعاـدةـ.

ولـلـتمـثـيلـ لاـ الحـصـرـ، يـمـكـنـ الرـجـوعـ إـلـىـ كـلـمـةـ أـلـقاـهـاـ بـاـباـ القـبـطـ شـنـوـدـةـ الثـالـثـ أـمـامـ الرـئـيـسـ المـصـرـيـ الـراـحـلـ أـنـورـ السـادـاتـ فـيـ بـدـايـاتـ حـكـمـهـ، تـحدـثـ فـيـهـ مـفـصـلـاـ عـنـ عـدـلـ الـمـسـلـمـيـنـ وـسـماـحـتـهـمـ، فـيـ معـاملـةـ النـصـارـىـ، لـكـنـهـ بـعـدـ سـنـوـاتـ نـكـصـ عـلـىـ عـقـبـيـهـ، وـأـخـذـ يـكـذـبـ عـلـىـ التـارـيـخـ بـنـقـيـضـ ماـ أـقـرـ بـهـ مـنـ حـقـائـقـ مـثـبـتـةـ فـيـ مـخـطـوـطـاتـ مـؤـرـخـيـنـ مـنـ رـجـالـ الـكـنـيـسـةـ نـفـسـهـ، وـمـاـ خـلـصـ إـلـيـهـ مـنـصـفـونـ مـنـ الـغـرـبـيـيـنـ فـيـ الـعـصـرـ الـحـدـيـثـ.

تقرير المصير:

بغـضـ اللـهـ، كـانـ كـاتـبـ هـذـهـ السـطـورـ مـنـ أـوـلـ الـذـيـنـ نـيـهـواـ مـنـذـ بـضـعـ سـنـوـاتـ إـلـىـ خـطـورـةـ تحـالـفـ الـأـقـلـيـاتـ الـذـيـ كـانـ يـتـمـ تـشـيـيدـهـ فـيـ الـخـفـاءـ، بـمـكـرـ وـدهـاءـ، ثـمـ أـصـبـحـ الـيـوـمـ مـعـلـناـ.

فـأـمـاـ صـقـورـهـمـ فـمـنـخـرـطـونـ فـيـ الـمـشـرـوعـ السـرـطـانـيـ، مـتوـهـمـينـ أـنـ حـلـ الصـادـاتـ الـثـلـاثـ: صـفـويـ-صـهـيـونـيـ-صـلـيـبيـ، يـمـكـنـ إـنـهـاءـ الـأـمـةـ إـلـىـ غـيرـ رـجـعةـ. وـأـمـاـ عـقـلـأـهـمـ -وـقـلـيلـ مـاـ هـمـ- فـيـسـعـونـ إـلـىـ إـيقـاظـ حـمـقـاهـمـ بلاـ جـدـوىـ..

فـإـذـاـ اـسـتـمـرـ التـعـنـتـ فـيـ الـهـيـمـنـةـ عـلـىـ قـرـارـ تـلـكـ الـأـقـلـيـاتـ، فـإـنـتـيـ أـتـوـعـ فـيـ الـمـدىـ الـمـتوـسـطـ -وـالـلـهـ أـعـلـمـ-. أـنـ يـنـتـهـيـ حـضـورـ الـأـقـلـيـاتـ فـيـ الـمـنـطـقـةـ، لـأـنـهـمـ يـخـوضـونـ مـعـنـاـ مـنـ جـانـبـهـمـ حـرـبـ وـجـوـدـ: إـمـاـ نـحـنـ وـإـمـاـ هـمـ. وـهـذـاـ الشـرـ الـمـسـتـطـيرـ لـمـ يـقـعـ مـنـهـمـ عـلـىـ مـدـىـ الـقـرـونـ خـمـسـةـ عـشـرـ الـمـاضـيـ، بـهـذـهـ الشـرـاسـةـ وـالـحـدـةـ.

المسلم

المصادر: